وأشار أبو حيان في «البحر المحيط»[1] إلى أن الفرَّاء أول من سمَّى التمييز تفسيراً أو مفسِّراً ثم تابعه في ذلك الكوفيون.

ومن هذا ما جاء في كلام الفراء على قوله تعالى: ﴿إلَّا مَن سَفِهَ نفسَه﴾ (من الآية ١٣٠ سورة البقرة):

العرب توقع «سَفِهَ» على «نفسه» وهي معرفة، وكذلك قولـه: ﴿بَطِرت معيشتها﴾ (٥٨ سورة القصص)، وهي من المعرفة كالنكرة، لأنه مفسِّر، والمفسِّر في أكثر الكلام نكرة كقولك ضقت به ذرعاً...[2].

وإطلاق «التفسير» أو «المفسر» على هذه المواد المختلفة مما يؤيد ما ذهبت إليه في أول هذا المبحث من أن «المصطلح الفني» لدى الكوفيين وعلى رأسهم الفراء شيء مذبذب رجراج غير مستقر.

وليس في نيتي أن أعرض لسائر المصطلح الكوفي، فالانصراف يقتضي كتاباً كبيراً، ولكني آثرت أن أقف على نماذج يسيرة منه لأخلص أن أهم ما تميز به الكوفيون هو أنهم جاءوا بمصطلح جديد ولكنه يفتقر إلى الإحكام بدلالة هذا التذبذب الواضح.

ولا يحسبن الدارس أن هذه المصطلحات انصرفت للكوفيين فقد نجد لفظ «التفسير» أو «المفسر» في «الكتاب» لسيبويه، أو «المقتضب» للمبرِّد، أو «الأصول» لابن السراج»[3]. كما أننا قد نجد الفراء يستعمل «الضمير» الذي يعني «المكني» في مصطلحه الخاص، ومعلوم أن «الضمير» من مصطلح البصريين.

---

(١) ٢/٥٢٠، وانظر «إعراب القرآن» للنحاس ١/٣٨٧، ٤٣٢.

(٢) معاني القرآن ١/٧٩، وانظر لمصدر نفسه ١/٥٥، ٥٧، ١٥٢، إصلاح المنطق ص ٢٩٩، والمجالس ص ٢٦٥، ٢٧٣، ٤٢٤، المذكر والمؤنث ص ٦٤٣ - ٦٤٤، وإيضاح الوقف والابتداء ١/١١٦، ١٣١.

(٣) الكتاب ٢/١٥٩، ١٧٥، المقتضب ٣/٣٤، الأصول ١/٢٧٢، ٤٩٤.